احذر عدوك

مصائب إبليس اللعين

والوقاية منها

تأليـــــف

طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

سعد حسن محمد على
المدرس بالأزهر الشريف

الناشـــر

مكتبة العلم الإسلامية

٤ عطفة النشيلى من ش سيد الدواخلى ت: ٧٨٦٣٢٨٠



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٠/١١٨٣٣
الترقيم الدولى 3 - 27 - 5442 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . . .

فإنا نشكر الله جل فى علاه أن وفقنا إلى تأليف هذا الكتاب، تذكرة لأنفسنا ونفعًا لأبناء جنسنا، إذ أن علمنا بأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق، كما قال سيد البشر، مما دعانا أن نبين كيف يكون ذلك للنجاة من مصائب إبليس اللعين وأعوانه من الشياطين، كى نكون فى حرز الله الأمين، متبعين هدى سيد الأولين والآخرين، فالجهل بالعدو من المصائب الكبار، فأنت بجهلك هذا لا تعرف من أين يجىء لك، وكيف يؤذيك، ولكن إذا

عرفته وعرفت مصـائده كنت على حذر منه، واستعددت له بكل إمكانياتك حـتى لا يأخذك على غـفلة، أو يجد منك منفذا يدخل عليك منه.

وألاعيب إبليس كثيرة، وحبائله جد خطيرة، وهذا كتاب على صغـر حجمـه فيه الكثير والكثيـر من تلك الألاعيب الشيطانيـة، وفيه أيضا ما ينبـهك إليها، وفيـه فوق ذلك ما يحصنك منها.

فخـذه أيها القـارئ الكريم درة كريمة وجـوهرة نفيـسة يحفظك الله به، ويأخـذ بيدك إلى جنة عرضهـا السماوات والأرض أعـدت للمتـقين، ويقـيك الله إذا اتبعت مـا فيـه عذاب النار الأليم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفـــان

مصائب إبليس اللعين والوقاية منها

من هو إبليس:

ـ قبل البدء فى الكلام عن إبليس لا بد من معرفة ماهيته ومن هو، فمن هو إبليس؟

قال كثير من علماء التفسير والتاريخ: خلقت الجن قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم فى الأرض الحن والبن، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم.

وذكر السدى فى تفسيره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على مُلك الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزنة الجنة.

وكان إبليس مع ملكه خازنًا، فوقع فى صدره: إنما أعطانى الله هذا لمزية لى على الملائكة.

وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا فى

الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور.

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاووس عن ابن عباس: كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل، وكان من سكان الأرض، ومن أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علمًا، وكان من حى يقال لهم: الجن، وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة، من أولى الأجنحة الأربعة.

وقد أسند عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنًا على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض.

وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس: كان يسوس ما بين السماء والأرض، رواه ابن جرير، وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا، وقال الحسن البصرى: لم يكن من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن - كما أن آدم أصل البشر(١).

---

(١) وهذا رأى له وجاهته نرتضيه فالملائكة ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وقال شهر بن حوشب وغيره: كان إبليس من الجن الذين طردهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء، رواه ابن جرير.

قالوا: فلمـا أراد الله خلق آدم ليكون فى الأرض هو وذريته من بعـده وصوَّر جـثتـه منها، جـعل إبليس وهو رئيس الجـان وأكثرهم عـبادة إذ ذاك، وكان اسمه عـزازيل، يطيف به، فلما رآه أجوف عـــرف أنـه خَلْق لا يتمالك، ليس له ثبـات، سـريع التقلب، وقال: أمـا لئن سُلطت عليك لأهلكنك ولئن سُلطت عليَّ لأعصينك، فلما نفخ الله فى آدم من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبلـيس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له، وقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾

(الأعراف)

فخـالف الأمر واعـترض على الرب عـز وجل، وأخطأ فى قوله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ وابتعد من رحمة ربه، وأنزل من مرتبته التى كان قد نالها بعبادته، وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم، لأنه مخلوق من نار وهم من نور، فخانه طبعه فى أحـوج ما كان إليه، ورجع إلى أصله النارى، قال تـعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ

إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ (سورة ص) وقال تعالى :
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ (الكهف).

ذكر إبليس فى القرآن

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ (الأعراف)

وقال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) ﴾ (الحجر).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ (الإسراء).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ (الكهف).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) ﴾ (طه).

وقال تعالى: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) ﴾ (الشعراء).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ﴾ (سبأ).

وقال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) ﴾[1] (سورة ص).

الفرق بين الجن والشيطان وإبليس

يقول القرطبى فى تفسيره لسورة الجن: إن أهل العلم اختلفوا فى أصل الجن.

فقال الحسن البصرى: إن الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء فى الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو ولى الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان.

---

(١) أما ذكر إبليس فى الأحاديث النبوية الشريفة فسوف تأتى بين ثنايا الكتاب.

ويقول ابن عباس: إن الجن ولد الجان وليسوا بشياطين، وهم يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

ويقول قتادة فى تفسير سورة الناس: إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين، قال تعالى: ﴿ **الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝** ﴾ (الناس) وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ (الأنعام: ١١٢).

ويقول الشيخ الدميرى عن الجن «فى حياة الحيوان الكبرى»: إن المشهور أن جميع الجن من ذرية إبليس، وقيل: الجن جنس، وإبليس واحد منهم، ولا شك أن الجن ذريته بنص القرآن.

قال تعالى: ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾ (الكهف: ٥٠)

ويقول المحدث الشبلى: إن الجن تشمل الملائكة وغيرهم من اجتن (استتر) عن الأبصار، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا** ﴾ (الصافات١٥٨)

لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله،

وقـال: الشيـاطين هم العـصـاة من الجن وهم ولد إبليس، والمردة هم أعتاهم وأغواهم.

يقول الجوهرى فى كتابه الصحاح: كل عات متـمرد من الجن والإنس والدواب شيطان، والعرب تسمى الجنة شيطانا.

إنظار إبليس ومهمته

قال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَـالَ رَبُّكَ لِلْمَـلائِكَةِ إِنِّى خَـالِقٌ بَشَـراً مِّن صَلْصَـالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّـاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَـالَ رَبِّ بِمَـا أَغْـوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْـمَـعِـينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْـهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ

أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾
(الحجر)

فهل بعد ذلك تتبع إبليس اللعين ولا تنتبه إلى قول الله السمع العليم.

والمقصود أن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ (سبأ).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) ﴾ (إبراهيم).

فإبليس لعنه الله، حى الآن مُنْظَرٌ إلى يوم القيامة بنص

القرآن، وله عرش علـى وجه البحر، وهو جالس علـيه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن.

إن كل ما يفعله الشـيطان إنما هو بسبب ضعفنا واسـتسلامنا لأوامره، فعـلى الرغم من وسوسته إلا أن الله أعطانا الحـصانة منه، لا تتبع شهوات نفسك التـى بين جنبيك، ولا تسر مع كيد الشيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ (النساء).

جلوس إبليس للناس على الصراط المستقيم

قـال تعالـى حكاية عن إبليس اللعـين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأعراف).

وعن أبى سـبرة عن ابن الفـاكـه قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «إن الـشيطان قـعد لابن آدم بأطرقـة، فقعـد له بطريق الإسـلام، فـقال لـه: تسلم وتتـرك دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم.

ثم قـعـد له بطريق الهـجـرة فقـال: أتهـاجـر وتذر أرضك وسماءك، فعصاه وهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جـهاد النفس والمال وجهاد الأعداء فقال: تقاتل فتُقتَل فتُنكَح المرأة ويُقسَم المال.

قال رسـول الله ﷺ : «فمن فـعل ذلك منهم فمـات كان حقـا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقعت به ناقـته كان حـقا على الله أن يدخله الـجنة، وإن قُـتل كـان حـقـا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة».

(رواه الإمام أحمد فى مسنده)

ما يستعين به إبليس من فتنة ابن آدم وعمله فيهم

عن قتادة قـال: لما هبط إبليس قيل: يا رب، قد لعنتـه فما عمله؟ قال: السحر، قيل: فما قراءته؟ قال: الشعر، قيل: فما كتابته؟ قال: الوشم، قيل: فمـا طعامه؟ قال: كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه، قيل: فما شرابه؟ قال: كل مسكر، قيل: فـأين مـسكنه؟ قال: الـحمَّـام، قـيل: فـأين مجلـسه؟ قـال: الأسواق: قيل: فما مؤذنه؟ قال: المزمار، قيل: فما مصائده؟ قال: النساء.

وما عُصـى الله بشىء قدر ما عُصى بالنسـاء، أى من النساء الفاسدات.

عن مـالك بن دينار قال: ليـس شىء أوثق فى نفس إبليس من الدنيا.

عن ثابت البنانى قـال: لمـا بُعث النبى ﷺ جـعل إبليس

يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى ﷺ فيجيئوا بصحفهم ليس فيها شىء، فقال: ما لكم لا تصيبون منهم شيئا؟ فقالوا: ما صحبنا قومًا قط مثل هؤلاء، قال: رويدًا بهم، عسى أن تُفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم.

عن ابن المبارك عن عبيد الله بن وهب قال: سأل بعض الأنبياء عليهم السلام إبليس وأبداله: بأى شىء تغلب ابن ادم؟ قال: آخذه عند الغضب وعند الهوى.

عن عمرو بن قيس قال: قال إبليس: ثلاث من كن فيه ظفرت به: من استكثر عمله، واستصغر ذنوبه، وأعجب برأيه.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، فلا تكون أبدا أقرب إلى الله تعالى منها إذا كانت فى قعر بيتها». (رواه الترمذى)

عن مالك بن دينار قال: حب الدنيا رأس الخطيئة، والنساء حبالة الشيطان، يقول الشيطان للمرأة: أنت نصف جندى، وأنت سهى الذى أرمى به فلا أخطئ، وأنت موضع سرى، وأنت رسولى فى حياتى. (النساء الفاسدات).

عن سعيد بن المسيب قال: ما بعث الله تعالى نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلك أمته بالنساء.

عن ابن عباس قال: إن الشيطان من الرجل فى ثلاثة منازل: فى عينيه، وفى قلبه، وفى ذَكَره، وهو فى المرأة فى ثلاثة منازل: فى عينيها، وفى قلبها، وفى عجزها (مؤخرتها).

عن قتادة عن الحسن بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان كحلا ولعوقا، فإذا كحل الإنسان من كحله ثقلت عيناه - أى عن الصلاة - وإذا ألعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر» تكلم بما لا خير فيه.

عن الحسن قال: إن للشيطان ملعقة ومكحلة، فملعقته الكذب، ومكحلته النوم عند الذكر.

وقال: حدثنى أحمد بن الحارث عن شيخ من قريش قال: قال خالد بن صفوان: إن الشيطان باختياله ونصب أحباله يختل بالشبهة ويكابر بالشهوة، فإذا أعيا مخاتلا كر مكابرا.

عن ابن مسعود قال: إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا.

فاحذر من مكايد إبليس فقد يغريك بالشر عن طريق الخير.

عن وهب بن منبه قال: كان عابد من السياحين فأراده الشيطان فلم يستطع منه شيئا، فقال له الشيطان: ألا تسألنى

عما أضل به بنى آدم؟ قال: بلى، قال: فأخبرنى ما أوثق شىء فى نفسك أن تضلهم؟ قال: الشح، والحدة، والسُّكْر، فإن الرجل إذا كان شحيحًا قللنا ماله فى عينيه، ورغَّبناه فى أموال الناس، وإذا كان حديدًا (سريع الغضب) أدرناه بيننا كما يتداور الصبيان الأكرة، فلو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه، وإذا سكِر اقتدناه إلى كل شهوة كما تقاد العنز بأذنها.

عن الأعمش عن خيثمة قال: كانوا يقولون: إن الشيطان يقول: وكيف يغلبنى ابن آدم؟ إذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه، وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه.

احب أعمال الشر إلى إبليس

قال أبو بكر بن عبيد: عن أبى موسى الأشعرى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلمًا ألبسته التاج، قال: فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج، ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى عق (أى أبويه) قال: يوشك أن يبر، قال: فيقول القائل: لم أزل بفلان حتى شرب، قال: أنت، قال: ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول: أنت، ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت.

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون بين الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة، يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما فعلت شيئا، ثم يجىء الآخر فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت».

(رواه أحمد ومسلم)

فخراب البيوت وراءه شر طويل يرضى إبليس اللعين.

قال الطرطوشى فى كتاب «تحريم الفواحش»: حدثنا شجاع ابن أبى نصر عن رجل من علية أهل الشام قال: قال سليمان ابن داود لعفريت من الجن: ويلك، أين إبليس؟ قال: يا نبى الله، هل أمرت فيه بشىء؟ قال: لا، أين هو؟ قال: انطلق يا نبى الله حتى أريكه، فسعى العفريت بين يديه ومعه سليمان حتى هجم به فى البحر، فإذا إبليس على بساط على الماء، فلما رأى سليمان عليه السلام ذعر منه وفرق (خاف) فقام فتلقاه، فقال: يا نبى الله هل أمرت فىَّ بشىء؟ قال: لا، ولكن جئت لأسألك عن أحب الأشياء إليك وأبغضها إلى الله عز

وجل؟ فقال: أمـا والله لولا ممشاك إليّ مـا أخبرتك به، ليس شيء أبغض إلى الله تعالى من أن يأتي الرجل الرجل والمرأة المرأة (اللواطة والسحاق).

ولا شك أن هذا أحب ما يرغب فيـه إبليس بعد الشرك بالله وما نهى الله عنه من الكبائر.

الشيطان مع من يخالف الجماعة

من حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس بالجابـية، فقـال: قام فـينا رسول الله ﷺ فـقال: «من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد». (رواه أحمد والترمذى)

ونقول: وهو من الجماعة كلما عظمت أبعد وأبعد.

قال ابن صاعد: عن زيد بن علاقة عن عرفجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «يد الله مع الجماعـة، والشيطان مع من يخالف الجماعة». (رواه أحمد والنسائى)

قال الدارقطنى: عن زياد بن عـلاقة عن أسامـة عن شريك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «يد الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يتخطف الذئب الشاة من الغنم» أى: أضلته عن دينه وعن الحق.

عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا» قال: ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا، ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ (الأنعام: ١٥٣) (رواه أحمد والنسائى).

فالطريق إلى الحق واحد وأما طرق الضلال فكثيرة مختلفة.

عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والمسجد». (رواه أحمد)

ضعف إبليس أمام العالم

قال ابن عبيد: حدثنى أبو عبد الله أحمد بن يحيى حدثنا على بن عاصم عن بعض البصريين قال: كان عالم وعابد متواخيين فى الله، فقالت الشياطين لإبليس: إنا لا نقدر على أن نفرق بينهما، فقال إبليس لعنه الله: أنا لهما، فجلس بطريق العابد إذ أقبل، حتى إذا دنا من إبليس قام إليه فى مثال شيخ كبير بين عينيه أثر السجود، فقال للعابد: إنه قد حاك فى صدرى شىء أحببت أن أسألك عنه، فقال العابد: سل، فإن

يكن عندى علم أخبرتك عنه، فقال له إبليس: هل يستطيع الله عز وجل أن يجعل السموات والأرض والجبال والشجر والماء فى بيضة من غير أن يزيد فى البيضة شيئًا ومن غير أن ينقص من هذا شيئًا؟ فقال له العابد: من غير أن ينقص من هذا شيئا ومن غير أن يزيد فى هذا شيئا؟! كالمعتجب، فوقف العابد، فقال له إبليس: امضه، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما هذا فقد أهلكته، جعلته شاكا فى الله تعالى.

ثم جلس على طريق العالم، فإذا هو مقبل، حتى إذا دنا من إبليس قام إليه إبليس فقال: يا هذا، إنه حاك فى صدرى شىء أحببت أن أسألك عنه، فقال له العالم: سل فإن يكن عندى علم أخبرتك، فقال له إبليس: هل يستطيع الله عز وجل أن يجعل السماوات والأرض والجبال والشجر والماء فى بيضة من غير أن يزيد فى البيضة شيئا، ومن غير أن ينقص من هذا شيئا؟ فقال له العالم: نعم، قال: فرد عليه إبليس كالمنكر من غير أن يزيد فى هذا شيئًا ومن غير أن ينقص من هذا شيئًا؟ فقال له العالم: نعم، بانتهار، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾ (يس) فقال إبليس لأصحابه: من قِبَلِ هذا أُتيتم.

هل علمتم لمـاذا فضَّل الله العلم والعلماء ـ فاقـرأ من كتب العلم كل ما تستطيع.

من حديث ابن عـباس أن رسـول الله ﷺ قال: «لفقـيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». (رواه الترمذى وابن ماجه)

الفقه فى الدين حرز من الشياطين

قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رحمه الله: اشتد علىَّ الحر فى بعض الأسـفار يومًـا حـتى كدت أمـوت عطشـا، فظللتنى سـحابة سـوداء وهب علىَّ منهـا هواء بارد حـتى دار ريقى فى فمى، وإذا بصوت ينادينى منها: يا عـبد القادر، أنا ربك فقلت لـه: أنت الله الـذى لا إله إلا هـو [فعـدل الشيخ عن الاسم المـشـتـرك كـمـا يقـال: رب الدار ورب المـال، إلى الاسم المختص بالواحد الأحد سبحانه وهو الإله] قال: فنادانى ثانيًا، فقـال: يا عبـد القادر، أنا ربك، وقـد أحللت لك مـا حرمت عليك، قـال: فـقلت له: كـذبتَ، بل أنت الشـيطان، قـال: فتمزقت تلك السحابة، وسمعت من ورائى قائلا: يا عبد القادر نجوت منـى بفقهك فى ديـنك، لقد فتنـت بهذه الحيلـة قبلك سبعين رجلا.

فالله تعـالى لا يأمر بالفحشـاء وأمور الدين بينة ظاهرة لا بد

من اتباعها، وقيل للشيخ عبد القادر: كيف عرفت أنه الشيطان؟ قال: من حين قال أحللت لك، عرفته، لأن بعد رسول الله ﷺ لا تحليل ولا تحريم، فنفعه الله بالعلم النافع.

قال أبو هريرة: «لكل شىء دعامة، ودعامة الإسلام الفقه فى الدين، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد».

(رواه ابن عدى مرفوعا)

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ ولينته».

(الصحيحين)

وفى رواية: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله» فإنه إن كان لله خالق فللخالق خالق إلى ما لا نهاية وهذا لا يكون فلا بد من أن يكون الله هو الأول والآخر.

عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه».

(الإمام أحمد)

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك الناس أن يتساءلوا فيما بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ ... ﴾ إلى آخرها، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم».

(المغازي لابن إسحاق)

عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهط من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى امتقع لونه، فأتاه جبريل، فسكّنه فقال: خفّض عليك يا محمد، وأتاه من ربه بجواب ما سألوه عنه: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ ... ﴾ السورة كلها، فلما تلاها عليهم، قالوا يا محمد: كيف خلقه، كيف ذراعه، كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال أول مرة، وجاء من ربه بجواب ما سألوه بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧ ﴾ (الزمر).

فكل ما يخطر على بالك فالله تعالى غير ذلك، فكيف يتساوى رب الأرباب بمن خلق من تراب؟!

اعبد ربك واصبر حتى يأتيك اليقين فسوف ترى ربك فى جنة النعيم.

استخدام إبليس أولاده

قال عبد الله بن محمد بن عبيد: عن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره ثم سماهم فذكر: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور.

فأما ثبر: فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب، ولطم الخدود ودعوى الجاهلية فى المصائب، ويمنع من الصبر عليها، أعاذنا الله تعالى منه بلطفه.

وأما الأعور: فهو صاحب الزنى الذى يأمر به ويزينه، ومن هنا يكون الرجل عنده زوجته المرأة الطيبة فيقع على المرأة القبيحة الفاجرة، والتى واقعها الكثير من مثلها من فجرة الرجال، أعاذنا الله منه بفضله.

وأما مسوط: فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت

رجلا أعـرف وجهه، وما أدرى مـا اسمه حـدثنى بكذا وكذا، أعاذنا الله منه برحمته.

وأمـا داسم: فـهـو الذى يدخل مع الـرجل إلى أهله يرى العيب فيهم ويغضبه عليهم، أعاذنا الله منه بكرمه.

وأمـا زلنبور: فـهـو صـاحب السوق الذى تركـز رايتـه فى السوق، فيحدث الغش والحلف الكاذب والتطفيف فى المكاييل والموازين والمقاييس، أعاذنا الله منه بقدرته.

روى مسلم من حديث سلمـان قال: لا تكونن إن استطعت أول داخل السـوق ولا آخـر من يخرج مـنها، فـإنهـا مـعركـة الشيطان وبها تركز رايته.

إبليس وأعوانه يتعرضون لأهل المسجد

عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسـجد تداعت جنود إبليس واجتلبت كمـا يجتمع النحل على يعسـوبها[1] فـإذا قام أحـدكم على باب المـسجـد فليـقل: اللهم إنـى أعوذ بك مـن إبليس وجنوده، فـإنهـا لن تضره». (رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة)

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا

(١) اليعسوب: ملكة النحل، وقد كان العرب يحسبونها ذكرا لضخامة جسمها.

كان فى المسجد جاءه الشيطان فأنس كما يأنس الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه وألجمه». (رواه أحمد)

قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله، وأما الملجوم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل.

عن أنس أن نبى الله ﷺ كان يقول: «راصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق، فوالذى نفس محمد بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف».

(رواه أحمد)

الحذف: غنم سود صغار من غنم الحجاز.

أحقر أوقات إبليس
ودعاؤه على نفسه بالويل والثبور

عن العباس بن مرداس السلمى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة، فأكثر الدعاء فأجابه[1] «إنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضا، فأما ما بينى وبينهم فقد غفرته» جل جلال الله.

فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرا من

(١) أى الله تعالى.

مظلمته وتغفر لهذا الظالم» فلم يجب تلك العشية بشيء، فلما كانت غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه: إنى قد غفرت، قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله إنك تبسمت فى ساعة لم تكن تتبسم فيها؟ فقال: «تبسمت من عدو الله إبليس، إنه لما علم أن الله سبحانه قد استجاب لى أخذ يدعو بالويل والثبور ويحثى التراب على رأسه».

(رواه أبو داود وابن ماجه)

عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من نزول رحمة الله وتجاوزه عن الذنوب العظام، إلا ما رؤى يوم بدر» قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: «أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة» (يزعها: يحثها على قتال المشركين).

(رواه أحمد)

روى أبو عثمان الصابونى عن رجل كان أسيرًا ببلاد الروم، فهرب من بعض الحصون قال: فكنت أسير بالليل وأكمن بالنهار، فبينما أنا ذات ليلة أمشى بين جبال وأشجار إذا أنا بحس، فراعنى ذلك، فنظرت فإذا راكب بعير فازددت رعبًا،

وذلك أنه لا يكون ببلاد الروم بعير، فقلت: سبحان الله فى بلاد الروم راكب بعير، إن هذا لعجب، فلما انتهى إلىّ قلت: يا عبد الله من أنت؟ قال: لا تسأل، قلت: إنى أرى عجبًا، فأخبرنى، قال: لا تسأل، فأبيت عليه، قال: أنا إبليس، وهذا وجهى من عرفات وافقتهم عشية اليوم أطلع عليهم، فنزلت عليهم المغفرة ووهب بعضهم لبعض، فدخلنى الهم والحزن والكآبة عليهم، وهذا جهتى إلى القسطنطينية أتفرج بما أسمع من الشرك بالله والدعاء أن له ولدا، فقلت: أعوذ بالله منك، قال: فلما قلت هذه الكلمات لم أر شيئا (القسطنطينية كانت من بلاد الروم).

وقال على بن الجارود: خرجت أنا وصاحبى فى طلب الحديث، فمررنا على قرية لوط، فبينما نحن نمشى فى تلك السكك فى يوم عرفة إذا رجل كوسج (ليس له لحية) فقال: من أنتم؟ فأخبرناه فانصرف، فقلنا له: من أنت؟ فتغافل عنا، فقلنا له: من أنت؟ فتغافل، فقلنا: أنت الشيطان إبليس؟ قال: نعم، قلنا: وما جاء بك إلى ههنا؟ قال: إنى كنت بالموقف، فنزلت الرحمة، فغفر الله لرجل يعمل المعاصى خمسين سنة، فشق علىّ فخرجت إلى بلاد قوم لوط أخفف عن نفسى ما أجد.

فالأماكن القذرة هى أحب الأماكن للشيطان.

قال الفضيل بن عياض: ما من شىء أبغض على إبليس من أن يرى ابن آدم نائمًا، يقول: متى يقوم حتى يعصى الله، فنوم الظالم كما يقولون عبادة، والأمور نسبية.

قال ابن أبى الدنيا: قال الله تعالى فى قصة بدر: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ ﴾ (الأنفال: ٤٨) وذلك أن قريشا لما عزمت على المسير ذكرت ما بينها وبين بكر بن وائل (قبيلة) من العداوة فكاد ذلك يثبطهم، فجاء إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لأنه من بنى مالك، فقال: ﴿ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ أى التقى الفئتان والجمعان، ورأى إبليس الملائكة وعلم أنه لا طاقة له بهم ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أى ولى مدبرًا ورجع القهقرى على قفاه هاربًا، وكان فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك يحرض على القتال، آخذًا بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث بن هشام: أفرارًا من غير قتال، وجعل يمسكه فيدفعه فى صدره وانهزم الناس، فلما بلغ ذلك سراقة بن مالك

قال: والله ما شعرت بمسيركم حتى علمت بهزيمتكم، فلما أسلموا علموا أن ذلك من الشيطان وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ (الأنفال: ٤٨) فإنه رأى جبريل عليه السلام معتجرًا ببرد يمشي بين يدي رسول الله ﷺ [جل جلال الله ناصر عبده هازم المشركين وحده].

وعن ابن عباس قال: أيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه رايته في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: يا رب، إن تهلك هذه العصابة [جماعة المسلمين] فلن تُعبد في الأرض أبدًا، فقال جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم، فما أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين، فانتزع

يده، ثم ولى مدبرًا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة ألم تزعم أنك جار لنا؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ ذكره البيهقى.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ قال قتادة: صدق عدو الله فى قوله: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وكذب فى قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ والله ما به مخافة - ما خاف إلا أن يهلكه الله، فهو عالم بمدى قدرته تعالى، وقد علم أنه لا نجاة له فأسلمهم، وكذلك عادة عدو الله بمن أطاعه، يغريه ثم يسلمه إلى الهلاك، فاحذره، والله أعلم.

كيف يلبِّس إبليس على الناس ويغريهم

يقول ابن الجوزى: التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتماد الفاسد صحيحًا، والردىء جيدًا، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم، ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم.

واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحص سور، وللسور أبواب، وفيه ثلم «شقوق» وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض (المكان الذى

يؤدى إليه) فيه الهـوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غيـر مانـع، والحرب قـائمة بين أهل الحـصن وأهل الربض، والشيـاطين لا تزال تدور حول الحـصن تطلب غفـلة الحارس والعبور من بعض الثلم.

فينبـغى للحارس أن يعـرف جميع أبواب الحـصن الذى قد وكل بحفظه وجـميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحـراسة لحظة، فإن العدو ما يفتر.

قـال رجل للحـسن البـصـرى: أينـام إبليس؟ قـال: لو نام لوجدنا راحـة، وهذا الحصن مستـنير بالذكر مشـرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة، وكـمال الفكر يرد الدخان وصقل الذكـر يجلو المرآة، وللعـدو حمـلات فتـارة يحمل فـيدخل الحـصن، فيكر علـيه الحارس فيخرج، وربما دخل فعبث، وربما قام لغفلة الحارس، وربمـا ركدت الريح الطاردة للدخـان فـتسـود حيطان الحـصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واسـتخدم وأقيم يستنبط الحيل فى مـوافقة الهوى ومساعدته.

قال بعض السلف: رأيت الشيطان فـقال لى: قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم.

وهذا مـا يقع الآن من بعض الناس إنهم يفكرون فـيمـا لا يستطيع الشيطان أن يفكر فيـه وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعـه عروس الهوى قد جـلاها فيتـشاغل الفطن بالنظر إليها فيـستأسره، وأقوى القيـد الذى يوثق به الأسرى الجهل، وأوسطه فى القـوة الهـوى، وأضعـفـه الغفلة، ومـا دام درع الإيمان على المؤمن، فإن نبل العدو لا يقع فى مقتل.

عن الحسن بن صالح رحمه الله يـقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير يريد به بابًا من الشر.

وعن رجل كـان يكلم الجن، قالـوا: ليس علينا أشد مـمن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعبًا.

حتى إذا كنت تؤدى الفرض وتتبع السنة فكن أشد حذرًا من الشيطان فإنه لا يريد إلا أنت إنه يترك الفاسق مع فسقه.

تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل[1]

يقـول ابن الجـوزى رحـمـه الله: كم قد خـطر على قلب يهودى ونصـرانى حب الإسلام فـلا يزال إبليس يثبطـه (يهبط

(١) اقرأ هذا الموضوع أكثر من مرة.

العزيمة) ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر، فيسوفه [يأجله] حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة، كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهى

وتأمل التوبة من قابل

(سوف أعمل كذا غدا، سوف أتوب غدا، سوف أحسن غدا، والموت ليس له غد)، وكم من عازم على الجد سوفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة، أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت، ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل، فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم، والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والإعراض عن الأمل، فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث، وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل إلى شر طول الأمل، فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والإقبال على الخير إلا أنه يعد نفسه بذلك، ولا ريب أنه من الأمل إذا مشى بالنهار سار سيرًا فاترًا، ومن أمَّل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفًا، ومن صوَّر الموت عاجلا جد، وقد قال ﷺ: «صل صلاة مودع» أى

من الحياة الدنيا وقال بعض السلف: أنذركم (سوف) فإنها أكبر جنود إبليس، ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمثل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل، وقال المفرد سأتأهب فربما أقمنا شهرًا، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتم المسوف المفرط، فهذا مثل الناس فى الدنيا، منهم المستعد المستيقظ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة، فإذا كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة، إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن فتر فى الظاهر أبطن له مكيدة وأقام له كمينًا.

ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا، إنه قريب مجيب، جعلنا الله من أولئك المؤمنين.

بكاء إبليس

قال ثابت البنانى: بلغنى أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا**

﴿لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ (آل عمران).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله أُمر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار». (مسلم)

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾ (العلق) اسجد لله خضوعًا واقترب من رحمته وجنته رجاء.

الرؤيا السيئة من إبليس

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنها من الله تعالى، فليحمد الله عليها وليحدث» وفى رواية: «فلا يحدث بها إلا لمن يحب، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره». (البخارى)

وعن أبى قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله تعالى، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئا

يكرهه فليتفل عن شماله ثلاثًا وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره». (متفق عليه)

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه». (مسلم)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل ثلاث مرات ثم ليقل اللهم إنى أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام فإنها لا تكون شيئا».

قال الطبرى فى حديث: إذا رأى ما يكره يتعوذ من الشيطان، ومن شر الشيطان، وليتفل عن شماله ثلاث مرات إخساء للشيطان، كما يتفل على الشىء القذر يراه أو يذكره، ولا أقذر من الشيطان، فأمر ﷺ بالتفل عند ذكره، وأما خصوصية الشمال دون اليمين فلعل طريق الشيطان إلى ابن آدم لدعائه ما يكره من قِبلها.

ويقول الحكيم الترمذى: إن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان فتصير قروحًا.

ويقول أيضا: كذلك التفلة مع تعوذك بالله يرد ما جاء به من الوسوسة، كالنار إلى وجهه فيحترق ويصير قروحًا.

التحذير من فتن الشيطان ومكائده

قال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله: اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وخلق الشيطان محرضًا له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم، وقد بذل نفسه وعمره فى إفساد أحوال بنى آدم، وقد أمر الله بالحذر منه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ (البقرة: ١٦٨، ١٦٩).

وقال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ (المائدة: ٩١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) ﴾ (القصص).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: ٦).

قال ابن الجوزى رحمه الله: ينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر عن النص الصريح على السجود، فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾ (الأعراف) ثم أزدف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم فقال: ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ (الإسراء: ٦٢) والمعنى أخبرنى لم كرمته علىَّ، غرر ذلك الاعتراض أن الذى فعلته ليس بحكمة، ثم أتبع ذلك بالكبر فقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (سورة ص: ٧٦) ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب.

فمتى سول للإنسان أمرًا فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر، وليقل له حين أمره إياه بالسوء: إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى، وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا تنصح نفسه، ثم كيف أثق بنصيحة عدو، فانصرف فما فىَّ لقولك منفذ، فلا يبقى إلا أن يستعين بالنفس، لأنه يحث على هواها، فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس.

روى الإمام أحمد من حديث عياض أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته: «إن ربى عز وجل أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا: كل ما نحلته عبادى حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين

فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا».

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد عن حيان الجريرى: إن لإبليس شيطانًا يقال له قبقب يجمه أربعين سنة، فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له: دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه.

عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانت شجرة تُعبد من دون الله فجاء إنسان إليها فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه الشيطان فى صورة إنسان فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن لى بذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته فقال: ما تريد؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله، قال: كذبت ما لك إلى ذلك سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال:

أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان، جئتَ أول مـرة غضبا لله فلم يكن لى سبيل عليك فخدعتك بالدينارين فتركـتها، فلما جئت غضبا للدينارين سُلطت عليك.

جعلنا الله ممن يغضب له سبحانه، لا ممن يغضب من أجل الدنيا أو عرض زائل.

عن جـابر رضي الله عنه يرفعـه قـال: إن إبليس قـد يئس أن يعبـده المصلون ولكن فى التحريش بينهم. (البخارى) [أى يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن].

عن ثابت البنانى رضي الله عنه قال: بلغنا أن إبليس ظهـر ليحيى بن زكريا عليـهما السـلام فرأى عليـه معاليق من كل شىء، فـقال يحيى: يا إبليس، ما هذه المـعاليق التى أرى عليك؟ قال: هذه الشـهوات التى أصـيد بهن ابن آدم، قـال: فهل لى فـيهـا من شىء؟ قـال: ربما شـبـعت فثـقلناك عن الصـلاة وثقلناك عن الذكر، قـال: فهل غيـر ذلك، قال: لا والله، قـال يحيى: لله علىَّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبدًا، قال إبليس: ولله علىَّ أن لا أنصح مسلمًا أبدا.

عن الحارث بـن قيس رضي الله عنه: قال: إذا أتاك الشـيطان وأنت تصلى فقال: إنك ترائى فزدها طولا.

عن عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي ﷺ يقول: كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها، وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها، فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده، فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها - ثم أتاه فقال له: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها، فإن أتوك فقل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها يسألونه عنها، فقال: ماتت، فأخذوه، فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي ضربتها وخنقتها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج، اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين، فهو الذي قال عز وجل فيه: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾ (الحشر).

عن وهب بن منبه قال: كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه، فأتاه متشبها بالمسيح فناداه: أيها الراهب أشرف عليَّ أكلمك، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري، فقال: أشرف عليَّ: أنا المسيح، فقال: إن كنت

المسيح فما لى إليك حاجة، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة، انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك، فانطلق اللعين عنه وتركه.

روى سالم بن عبد الله ﷺ عن أبيه قال: لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام: ما أدخلك، قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام: اخرج يا عدو الله، فقال إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه السلام - أنه لا حاجة لك إلى الثلاث، مره يحدثك بالاثنتين، فقال: بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان: الحسد، والحرص، فبالحسد لُعنت وجُعلت شيطانًا رجيمًا، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها إلا شجرة معينة فأكل منها فأصبت حاجتى منه فأخرج من الجنة.

قيل: لقى إبليس موسى عليه السلام، فقال: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليمًا، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عز وجل أن يتوب علىّ، فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقى موسى إبليس فقال له: قد أمرت أن تسجد

لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا، ثم قال إبليس: يا موسى إن لك حقا بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن: اذكرنى حين تغضب فأنا حى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم، واذكرنى حين تلقى الزحف (فى الحرب) فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها.

روى أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه السلام، وهو يناجى ربه تعالى، فقال له الملك: ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه، قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة.

عن عبد الرحمن بن زياد ﷺ قال: بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألوانا، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له: السلام عليك يا موسى، فقال له موسى عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: فلا حياك الله، ما جاء بك؟ قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه، قال: فما الذى رأيته عليك؟ قال: به أختطف قلوب بنى آدم، قال:

فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه، وأحذرك ثلاثا: لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها، ولا تعاهد الله عهدًا إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها، ثم ولى وهو يقول: يا ويله ثلاثا، علم موسى ما يحذر به بنى آدم.

عن مخلد بن الحسن قال: ما ندب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه فكن وسطا فى حياتك.

عن عبد الله بن عمر ﷺ يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شر فى الأرض بين اثنين فصاعدا من تحركه.

اجتهاد إبليس على المؤمن عند الموت
وما يجب على المؤمن فعله

روى أبو داود فى سننه أن إبليس يقول لأعوانه عند

الموت: عليكم به، فإن فاتكم الآن لم تقدروا عليه، ومتى يقدرون عليه وقد رفع عنه بعد ذلك التكليف فحاول عمل الخير قبل ذلك يكتب لك فيما بعد.

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ويمتحنون، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، ولمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». (ابو نعيم)

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حضرت وفاة أبى وبيدى خرقة لأشد لحييه، فكان يغرق ثم يفيق ويقول: لا، بعد، لا بعد، فعل هذا مرارًا، فقلت له: يا أبت، أى شىء يبدو منك؟ قال: قال: الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول: فتنى يا أحمد، وأنا أقول لا بعد، حتى أموت.

عن عطاء بن يسار قال: تبدى إبليس لرجل عند الموت، فقال: ما نجوت منك بعد.

قال أبو الحسن القابسى فى شرح رسالة ابن أبى زيد: روى أن العبد إذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان، واحد عن يمينه والآخر عن شماله، فالذى عن يمينه على صفة أبيه،

فيقوله له: يا بنى إنى كنت عليك شفيقا ولك محبا، ولكن مت على دين النصرانية، فهو خير الأديان، والذى على شماله على صفة أمه تقول: يا بنى، إنه كان بطنى لك وعاء وثديى لك سقاء، وفخذى لك وطاء، ولكن مت على دين اليهودية وهو خير الأديان.

يقول الغزالى عن ذلك: فعند هذا يزيغ الله من يريد زيغه وهو قوله: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨) أى لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل أزمانا، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة أو جبريل عليه السلام، فيطرد عنه الشياطين، ويقول للمؤمن: هؤلاء أعداؤك من الشياطين، مت على الحنيفية والشريعة المحمدية، فما شىء أحب إلى الإنسان من ذلك الملك وهو قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ (آل عمران).

قال بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (سورة ق: ١٩) قال: بالسابقة.

وقال بعض السلف: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل، ما أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه، فكن بين الخوف من الشيطان والرجاء فى

فضل الله ورحمته وحفظه، وأكثر من الاستغفار، ولا إله إلا الله فإن المرء يموت على ما عاش عليه ويُبعث على ما مات عليه.

قال منصور بن عمار: إذا مات الإنسان اقتسمه خمسة أشياء: المال للوارث، واللحم للديدان، والعظم للتراب، والروح لملك الموت، والإيمان بالله إن كان سعيدًا، أو يخاف على أن يكون إيمانه للشيطان.

يقول ابن الجوزى: أوصى نفسى ومن يبلغه كلامى بالثبات عند الموت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فما يلقى المؤمن شدة تشبهها، وأجود للمريض أن يغوص فى سكرات الموت، فلا يعقل، ونعوذ بالله من الإفاقة مع عدم الثبات، فاذكروا الشهادة عند الميت ولا تأمروه بها، وإذا قالها فلا تعيدوها عليه فإن الكرب الذى يحس به الميت لا يستطيع وصفه إلا من لاقاه وما من أحد عاد إلينا بعد الموت فأخبرنا بما وجده.

ما قاله بعض الصلحاء عند موتهم

كان سفيان الثورى يقول: أخاف أن أفتتن عند الموت، يشتد الأمر علىّ، فأسأل الرفق فلا أعطى فأفتتن.

وقد كان الجنيد يقرأ إلى أن مات، فقيل له: ارفق بنفسك، فقال: الآن تطوى صحيفتى.

وتوفى شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يقرأ عند الموت: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ (القمر).

وحكى عن بعض المشايخ أنه احتضر وهو يقرأ فى قوله تعالى فى سورة يس: ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) ﴾ ثم توفى، ثم دفنوه، فخاف عليه بعض تلامذته فنام عند قبره، فسمع كلام منكر ونكير وهما يقولان له: من ربك؟ فقال تمام الآية: ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾ (يس) فقال الملكان: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ (يس).

قال سبط ابن الجوزى: كان آخر ما تكلم به الشيخ أبو عمرو: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ (البقرة).

وقد ذكر النسائى وغيره فى دعاء النبى ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من الغرق والحرق، وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت» هل تسمع أيها المؤمن قول أشرف الخلق الذى ما خلقت الجنة إلا من أجله وهى حرام على الكل حتى يدخلها.

وفى سنن أبى داود: كان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت» ادعوا بهذا الدعاء المبارك.

قال محمد بن ثابت البنانى: ذهبت ألقن أبى وهو فى الموت، فقلت: يا أبت: قل لا إله إلا الله، فقال يا بنى: خذ عنى فإنى فى وردى السادس أو السابع.

ومرض أبو قلابة بالشام فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده، فقال: يا أبا قلابة، تشدد ولا تشمت بنا المنافقين.

قال أهل التاريخ: كان آخر ما تكلم به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يمسك لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد، فلما مات رؤى فى المنام، فقيل له: ما أوردك لسانك، قال: أوردنى لسانى الجنة بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال محمد بن يزيد بن خنيس: حلف وهيب بن الورد أن لا يراه الله ضاحكا، ولا أحدا من خلقه حتى يعلم ما يأتى به رسل الله، قال: فسمعوه عند الموت يقول: وفيت لى ولم أوف لك.

وقال علقمة بن مرثد: كان الأسود بن يزيد يقوم حتى يصفر ويخضر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال

مـالى لا أجـزع، والله لو أُتيت بالمـغـفـرة من الله عـز وجل لأهمنى الحـيـاء منه بمـا صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعـفو عنه، فلا يزال مـستحيـيا منه، ولقد حج ثمـانين حجة، أى كـيف يكون وقوفنا بين يدى الله وقد أذنبنا الصغير والكبير.

وقال أبو بكر بن عياش: دخلت على عاصم، وقد احتضر، فجعلت أسـمـعه يردد هذه الآية يحققها وكـأنه فى المحراب: ﴿ ثُـمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَـوْلاهُـمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْـــرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ (الأنعام).

لما كـان أبو يزيد البسطامى فى مـرضه الذى مات فـيه بكى شديدا، ثم ضحك، فقـيل له: لم بكيت ثم ضحكت؟ فقال: أتانى إبليـس قـال: يا أبا يزيد، تمـوت وتخلـص من شـبكتى فبكيت، فأتانى ملك من الله فبشرنى بالجنة فضحكت.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقوم من باب الميت صفان من الملائكة يستقبـلونه بالاستغفار فيصيح إبليس عند ذلك صيـحة يتصـدع منها عظام جسـده، ويقول لجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العـبد منكم، فيقـولون: هذا كان معصومًا». (رواه أبو يعلى الموصلى فى حديث طويل)

قال سفيان: (إن الشيطان أشد بكاء على الميت المؤمن إذا مات من بعض أهله، لما فاته من افتتانه إياه فى دنياه) ويضحك منه أيضا إذا أورده المهالك الذى ليس بعدها مهالك.

وقد ورد أن النبى ﷺ قال وقد أخذ فى تسوية اللحد على الحد أصحابه: «اللهم أجره من الشيطان».

وهذا يدل على أن العدو لا ينقطع طمعه عن المؤمن بالموت.

وقال عمر بن مرة: كانوا يستحبون إذا وضع الميت فى القبر أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم، أى عند سؤال الملكين له فى القبر.

قال سفيان: إذا سئل الميت من ربك تزيا له الشيطان فى صورة، فيشير إلى نفسه إنى أنا ربك، فعلمنا أن للشيطان هناك سبيلا.

إن عوارض الفتن هناك [عند الموت] كثيرة لا تحصى، فربما وجد تشوقًا إلى الدنيا وانزعج لفراق محبوب، أو ضعف عن حمل البلاء أو عرض الفتن، فمال الإنسان عن التوحيد أو أعرض عن المسالك، فالله الله إذا نزل بك الموت، فلا يكون لك هم إلا فى تهذيب الاعتقاد، والاستغفار من الذنوب، والتوبة من الخطايا لعلك تلقاه نظيفا، والله عند حسن الظن به، فأحسن الظن بالله عندما تقاسى سكرات الموت.

تعجب الملائكة ممن يسلم من إبليس

يقول ابن الجوزى رحمه الله: فتن الشيطان ومكايده كثيرة، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فإن من يدعو إلى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيها بسرعة انحدارها، ولما رُكب الهوى فى هاروت وماروت لم يستسمكا، فإذا رأت الملائكة مؤمنا قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته.

وعن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة: سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا.

وفاة إبليس

عن وفاة إبليس يوم الوقت المعلوم كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) ﴾ (الحجر) يقول الإمام الآلوسى فى تفسيره لهاتين الآيتين: إن المشهور المعول عليه عند الجمهور هو أن الوقت المعلوم هو وقت النفخة الأولى، وأن موت إبليس يكون عند النفخة الأولى، وبينها وبين النفخة الثانية التى يقوم فيها الخلق لرب العالمين أربعون سنة.

ما أعد لإبليس فى جهنم ورجاؤه المغفرة

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يُكسا حلة من النار إبليس، فيضعها على جانبيه ويسحبها من خلفه وذريته بعده وهو ينادى: يا ثبوراه، وينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فيقول: يا ثبورهم، ويقولون يا ثبورهم، فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا». (الإمام أحمد)

والثبور الدعاء بالهلاك أى يا هلاكنا احضر الآن فهذا وقتك.

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه» (الطبرانى) وأنَّى له ذلك فوعيد الله لا بد وأن يتحقق فيه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادى ويجهر: إلهى مرنى أن أسجد لمن شئت، قال: فيجتمع إليه زبانيته فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربى أن ينظرنى إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، قال: ثم تخرج دابة الأرض من الصفا من صدع فى الصفا، قال: فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتى إبليس فتلطمه».

(الطبرانى)

قال سفيان بن عيينة: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) مد إبليس عنقه وقال: أنا من الشيء، فنزلت: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ (الأعراف) مدت بعض الكفرة أعناقهم وقالوا: نحن نؤمن بالآيات ونؤدى الزكاة، فخلصها الله تعالى من إبليس والكفرة، فجعلها لهذه الأمة خاصة فقال: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فلا بد من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

التحصن من إبليس بذكر الله تعالى

اعلم وفقك الله وإياى أن الشياطين لا تقرب إلا من هو أضعف منها فكن قويا كما أراد الله لابن آدم المسلم يخشاك كل شيء، عليك أن تخاف الله يخاف منك كل شيء، فتعيش سليما فى عقلك قويا فى دينك معافى فى جسدك، وتذكر دائما قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ (النساء).

وتلك تحصينات من الشياطين المرجومين نقدمها لك ينفعك الله بها ويحفظك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾ (الأعراف).

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم وليلة مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب يعتقها وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

(متفق عليه)

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله، يقول الملك هديت، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الملك: وقيت، فإذا قال: توكلت على الله يقول الملك: كفيت، قال فيقول الشيطان عند ذلك: كيف لنا بمن هُدى ووُقى وكُفى».

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج الرجل من منزله فقال: باسم الله، توكلت على الله، ولا حول

ولا قوة إلا بالله، قال الله تبارك وتعالى: هديت ووقيت وكفيت، قال: فيلقى الشيطانُ الشيطانَ فيقول له: كيف لك برجل قد هُدى وكفى ووقى؟. (الصحيحين، ابن حنبل)

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من خارج يخرج من بيته يريد السفر أو غيره، فقال حين يخرج: باسم الله، آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج». (أحمد وأبو داود والترمذى)

عن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها» فذكر التوحيد والصلاة والصيام والصدقة، ثم قال: «وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله».

عن أبى بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت بنى آدم بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار،

فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون».

فى حديث مرفوع: إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام، فأنزل منه هذه الثلاث آيات التى ختم بهن البقرة، من قرأهن فى بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال.

اقرأ من أول ﴿ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾ إلى آخر سورة البقرة.

قال أبو عبد الرحمن الحُبلى ﷺ: إذا اجتمع قوم على ذكر الله خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد يقول لهم: انظروا هل قاموا؟ فيقولون: لا، فيضرب كبده، فيقولون له: ما بالك تضرب كبدك؟ فيقول: إنما أخشى عليهم الرحمة فلا يعذبون أبدا.

عن بريدة ﷺ قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبى ﷺ فقال: ما أنام من الأرق، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علىَّ أحد منهم أو أن يبغى على، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك». (الترمذى)

(لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

نصيحة لله تعالى

وماذا بعد. . .

إذا استفدت من هذا الكتاب النافع بعون الله، وأنت إن شاء الله مستفيد فأقرئه من شئت، واطلب من غيرك شراءه أو ضع عددًا منه فى أحد بيوت الله لينتفع به أكبر عدد ممكن من إخوانك المؤمنين، يرفع الله ذكرك ويعظم أجرك فى العالمين.

المراجع

بعد كتاب الله وكتب الحديث الشريف من الصحاح والمسانيد رجعنا إلى ما يلى:

١- مصائب الإنسان من مكائد الشيطان

أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى

٢- البداية والنهاية ـ ابن كثير، مراجعة طه عبد الرءوف سعد

٣- تلبيس إبليس ـ ابن الجوزى ـ تحقيق طه عبد الرءوف سعد

٤- إغاثة اللهفان ـ ابن قيم الجوزية

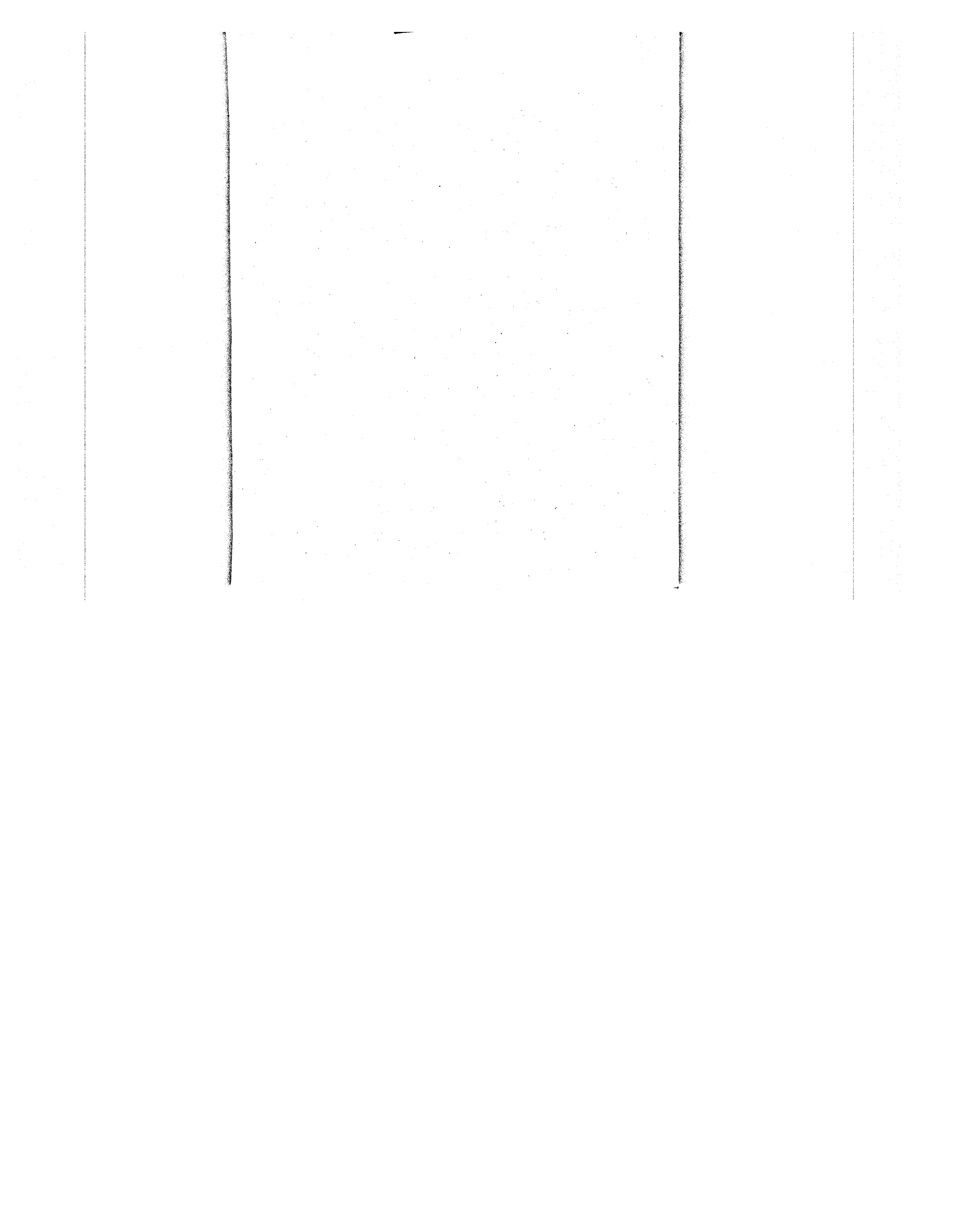
تحقيق طه عبد الرءوف سعد

٥- الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ومراجعها

د/ فاطمة محمد محجوب

٦- حسن البيان فيما قيل عن الجان

تأليف: طه عبد الرءوف سعد ـ سعد حسن محمد



فهرس الموضوعات

الموضــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة